النوازل العقدية وخطرها (العلمانية أنموذجا)

م. علي عدلاوي

قسم العلوم الإسلامية/ جامعة الأغواط/ الجزائر

Streptococcus Nodules and its Danger (Secularism as an Example)

Lecturer. Ali Adlawai

Islamic Studies Department\ Alagwatt University\ Algeria

boukabcha@gmail.com

Abstract:

The Islamic nation was devastated after the fall of the Ottoman Caliphate by secularism coming from the oppressive Crusader West, leaving its devastating effects on the Muslim world, both individually and collectively, at the grassroots and official levels, and in all spheres of life: social, economic, political and educational., Even called for full application, even if the opposition necessarily opposed to religion.

Keywords: Streptococcus, secularism, intellectual invasion.

الملخص:

نكبت الأمة الإسلامية بعد سقوط الخلافة العثمانية بالعلمانية الوافدة من الغرب الصليبي الحاقد، فتركت آثارها المدمرة على العالم الإسلامي، على المستويين الفردي والجماعي، وعلى المستوى الشعبي والرسمي، وفي جميع مجالات الحياة: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية،.. وقد تأثر بها علماء وأدباء ومثقفون وسياسيون، حتى نادوا بتطبيقها كاملة، حتى ولو عارضت المعلوم من الدين بالضرورة.

الكلمات المفتاحية : النوازل العقدية ، العلمانية ، الغزو الفكري.

١- مقدمة:

أول ما نزل من القرآن الكريم: ﴿اقرأ﴾[١]، وهي دعوة صريحة إلى العلم بتحقيق أسبابه من القراءة والكتابة وطلب العلم من أفواه العلماء وبطون الكتب، وغيرها من الوسائل. وقد مدح الكتاب الكريم والسنة الشريفة العلم والعلماء في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢]، وقوله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٣] . وقال صلى الله عليه وسلم: « وإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»[٤]، ويكفي ذلك العلماء وطلبة العلم شرفا وذكرا في الداري

إن المتأمل في النصوص الشرعية يجد أنها تناولت كل شؤون الحياة التي تهم المسلم، والتي تيسر له سبيل السعادة في الدنيا والآخرة. ولذلك نجد تلك النصوص الكريمة تتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والتربوية وغيرها، حتى أننا وجدناها تتعرض لعلوم الفلك والكون والطب والفيزياء وعلوم النبات والبحار وغيرها من علوم الكون، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٥].

وهذا يظهر أنه لا خصومة بين الدين والعلم في المنهج الإسلامي، بل هناك تكامل وتناغم وتعاون، عكس ما شهده الغرب منذ قرون، حيث وجدنا الخصومة شديدة بين العلم والدين، بين الجامعة والكنيسة، بل لقد قتل وسجن ونفي الكثير من علماء المادة الغربيين بسبب أبحاثهم العلمية، الأمر الذي أحدث بعد مدة من الزمن– حين تمكن أهل العلم من مقاليد الأمور– ثورة على الكنيسة والملكية التي كانت تؤيدها وتقف إلى جانبها في معاداة العلماء، ورفع شعار: "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس".

وإذا كان للغرب مبررهم في إبعاد الدين عن الحياة، فليس للمسلمين مبرر لذلك، فقد كان الحكام والخلفاء المسلمون يقربون العلماء ويجلونهم ويشجعونهم على البحث، ويرصدون لهم المكافآت الجزيلة نظير ما توصلوا إليه من كشوف نافعة واختراعات ميسرة للحياة. وفي العصور التي انحسر فيها الإسلام عن قيادة البشرية، تسللت العلمانية إلى ديار المسلمين، لتفسد الدين والدنيا معا..

فما العلمانية؟ وما أصولها وفلسفتها؟ وما مظاهرها؟ وما خطرها على المسلمين؟ وما السبل الناجعة للتصدي لها؟

١- مفهوم العلمانية:

العلمانيّة بالإنجليزيّة: (Secularism)وهي عبارة عن مجموعةٍ من المُعتقدات التي تُشير إلى أنّه لا يجوز أن يُشارك الدين في المجالات السياسيّة والاجتماعيّة للدول، وتُعرَّف العلمانيّة بأنّها النظام الفلسفيّ الاجتماعيّ أو السياسيّ الذي يَرفض كافة الأشكال الدينيّة؛ من خلال فصل المسائل السياسيّة عن عناصر الدين، ومن تعريفاتها أيضاً هي الآراء التي تسعى إلى استبعاد الأُسس الدينيّة عن كافة الشؤون المحلية المدنية للدول[٦].

(..والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو "فصل الدين عن الدولة"، وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل أنها "فصل الدين عن الحياة" لكان أصوب، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو" اقامة الحياة على غير الدين" سواء بالنسبة للأمة

أو للفرد(..) فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما)[٧].

٣-اصول العلمانية:

لم تنشأ العلمانية في بلاد الإسلام، بل كانت نازلة غريبة عن المنهج الإسلامي وعقيدته، وعمل الاستعمار الصليبي على توطينها في العالم الإسلامي بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، حتى اصطبغت بها الحياة الإسلامية شعبيا ورسميا.. والسؤال المطروح متى وكيف نشأت العلمانية؟

لقد نشأت في " أوربا الصليبية في أعقاب صراع طويل بين الكنيسة وبين السلطة الزمنية، حيث سيطرت الكنيسة على كل شيء، فالعلم والتربية والأخلاق والسياسة والاقتصاد والحكم والأدب والفن مرده إلى سلطان الكنيسة، وكل ما خالف تفسيرات الكنيسة ومقولاتها فهو باطل،و كل من اعتنق شيئا مخالفا لما تقول به الكنيسة وجبت محاكمته، وربما وصل الأمر بهم إلى إعدامه حرقا. ولقد بلغ الذين صدرت ضدهم أحكام من الكنيسة(٣٤٠) ألفا حتى سنة١٨٠١م، أحرق منهم مائتان أحياء، ولم يكن هذا الأمر محتملا لا من جمهور الناس ولا من العلماء والمفكرين"[٨].

يرى العلامة يوسف القرضاوي أن ثمة مبررات[٩] أدت إلى بروز العلمانية في الغرب المسيحي، وهي:

(أ) المسيحية تقبل قسمة الحياة بين الله وبين قيصر، فنصوص المسيحية تقبل الفصل بين السلطة الروحية التي تمثلها الكنيسة، وسلطة الدولة التي يمثلها الحاكم(قيصر).

(ب) المسيحية ليس فيها تشريع لشؤون الحياة، إنما هي روحانيات وأخلاقيات عامة ومواعظ غير منضبطة بتشريعات دينية صارمة، ولذلك لا ينزعج العلماني من تشريعات القوانين الوضعية عندهم إذا عارضت ما يخدش الدين أو يخرم المروءة[١٠].

(ت) بخلاف الإسلام، تطبيق العلمانية في بلاد الغرب لا يقضي على المسيحية.

(ث) تاريخ الإسلام غير تاريخ الكنيسة، فالإسلام منذ يومه الأول يدعو إلى الحرية الفكرية والدينية، بخلاف

الكنيسة في القرون الوسطى وقبلها كانت تقمع الفكر وتهين العلماء، ولها سجل أسود في ذلك[١١]. ويورد الأستاذ أنور الجندي نصوصا[٢] تظهر شهادات لعلماء غربيين يصفون الإسلام بالشمول بين الدين والدولة، وتقديس العلم وتكريم العلماء:(*جورج روبير: "إن الإسلام ليس دينا فحسب، إنه آخر الأديان التي ظهرت في التاريخ، وإنه أيضا وبصفة خاصة مجتمع روحي واجتماعي، ونظام سياسي، وأسلوب للعيش. ولقد أعطى الإسلام للدنيا حقها، وللآخرة حقها، فلا تزهق الروح على حساب البدن، ولا يزهق البدن على حساب الروح، فالازدواج كامل بين الروحية والمادية في شخصية المسلم".

* ريتشارد هارتمان: "قلما تجد بين الأديان الكثيرة دينا ينفذ إلى حياة معتنقيه –كلها فردية كانت أم جماعية– مثل الإسلام، ذلك أنه جمع السلطة الدينية في شكل الدولة السياسي، ووقى خطر التفرقة بين أمور الدين وأمور الدولة، وقد ألبس الدين ثوب التشريع والفقه".

* اميل درمنجم:"الإسلام ليس عقيدة مادية تنطبق عليها المقاييس المادية، وليس عقيدة روحية، لا صلة لها بالمادة، ولا بالحياة، وإنما الإسلام عقيدة ترتكز على المادة والروح، والدنيا والآخرة، جسم، وروح، ودولة، ودين، وحياة، وغيب. والإسلام عقيدة تقدمية لا بوصفه مؤيدا لنظريات الاجتماع الحديثة، بل لأنه يدفع الإنسان–دوما– إلى الأمام".
* الزي لستنشتاتر:"الإسلام ليس دينا فحسب، بل هو أسلوب في الحياة، وجد – دون غيره–طريقه إلى نفوس الأميين والفقراء، وإلى نفوس المثقفين، وإلى نفوس القادة والساسة، وإنك لتجد علماء الذرة والحيوان والرياضة–رغم بلوغهم هذه الدرجة العليا– ظلوا مخلصين لدينهم الإسلامي").

٤– فلسفة العلمانية:

جناية العلمانية على الإنسان والحياة يقصر أمامها الموت الزؤام، ذلك أنها أفسدت طبيعة الفطرة القويمة، وشوهت نظام الحياة المتناغم معها.

العلمانية نتاج تفكير بشري متمرد على القيم والدين والأخلاق والملكية(اشنقوا آخر قسيس بأمعاء آخر ملك)..العلمانية كفر بالخالق وتضليل للمخلوق: (..ويؤكد فيلسوف التربية الأمريكي "جون ديوي" في مؤلفاته على أن الفصل بين العقل والروح من عالم الأشياء قد أصبح من النظريات القديمة البائدة، فالإنسان إذن وحدة واحدة لا يمكن إغفال أي عنصر من عناصر تكوينه المتوازن أو طاقة من طاقاته الحيوية، كما لا يمكن الفصل بين هذه العناصر

والطاقات، أو تغليب الطابع السلبي لإحداها. إن موقفا كهذا لا يصدر إلا عن جهل بطبيعة الإنسان، ومن الجرم البين أن يقام مذهب أو نظام على أساس من الجهل بهذه الخاصية الأساسية من خصائص الإنسان) [١٣].

ويقسم المفكر المصري عبد الوهاب المسيري العلمانية إلى قسمين: علمانية جزئية وعلمانية شاملة، ويقول عن الشاملة بأنها: (رؤية شاملة للواقع تحاول بكل صرامة تحييد علاقة الدين والقيم المطلقة والغيبيات بكل مجالات الحياة، ويتفرع عن هذه الرؤية نظريات ترتكز على البعد المادي للكون وأن المعرفة المادية المصدر الوحيد للأخلاق وأن الإنسان يغلب عليه الطابع المادي لا الروحي، ويطلق عليها أيضاً "العلمانية الطبيعية المادية "نسبة للمادة و الطبيعة) [١٤].

٥–مظاهر العلمانية*:

كان لدخول الاستدمار الفرنسي بلاد المغرب العربي أخطر الآثار في محو الهوية وطمس الشخصية العربية من خلال توطين العلمانية، ومن مظاهرها في بلاد المغرب الأقصى ما يلخصه الباحث مصطفى الحسناوي الميسوري في مقاله الموسوم ب"العلمانية في المغرب.. صراع متجدد": (..وبعد دخول فرنسا رسمياً للمغرب عقب معاهدة الحماية، وجدت العَلمانية والقوانين الوضعية طريقها للتطبيق والتنزيل على أرض الواقع، وبدأت عملية عزل الشريعة وإقصائها والحدِّ من دور العلماء وتهميشهم تتم بالتدريج. فقد صدر ظهير ملكي لضبط محال بيع الخمور بتاريخ ١٩١٣/٠٦/٢٩م، وصدر بتاريخ ١٩١٤/٠٣/١٩م، ظهير ملكي بتقنين البغاء، وفي ١٩١٤/٠٩/١١م، صدر ظهير ملكي يأمر بإقرار ومراعاة العوائد البربرية (وهو ما يعني عدم خضوع هذه المناطق للشريعة وتحاكُمها للأعراف والتقاليد؛ أي العلمانية)، وفي ٢١ من الشهر نفسه صدر قرار بتحديد القبائل الخاضعة للحكم البربري العَلماني، وفي ١٩١٥/٠٩/٢٢م صدر بلاغ يقضي بجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للجماعات البربرية، وفي ١٩٢٢/١١/١٥م صدر قرار يقنن تفويت العقارات للأجانب بالقبائل البربرية، وصدر قانون مصادرة الأراضي في ١٩١٤/٠١/١١م، وصدر ظهير إصلاح القضاء بتاريخ ١٩١٣/٠١/١١م، وعدل بتاريخ ١٩١٤/٠٣/٠٧م، ثم في ١٩١٦/٠٤/٣٠م، وفي ١٩٢١/٠٨/٢٢، وفي ١٩٢٤/٠٤/٢٩م. وصدر ظهير تمييز الراية المغربية بتاريخ ١٩١٥/٠٦/٢٩م. وظهير حرية الصحافة المأخوذ عن القانون الفرنسي بتاريخ ١٩١٧/٠٤/٢٧م، وعدل في ١٩١٨/٠٢/٠٩م، ثم في ١٩٢٠/١١/٢٠م، وهي السنة التي صدر فيها قانون يمنع على جميع مدارس البادية تعليم العربية الفصحى، وفي ١٩٣٠م صدر الظهير البربري الصليبي العَلماني، والقاضي بإحلال قانون العقوبات الفرنسي في المناطق الأمازيغية.

كان هذا استعراض لجذور العَلمانية وإقصاء الشريعة في المغرب، التي تمت على مستويات وحقول مختلفة؛ فقد كانت طنجة الحقل المكاني للتجربة الأولى؛ كونها الحلقة الأضعف والأنجح أيضاً لأسباب عدة)[١٥].

تتجلى العلمانية أكثر ما تتجلى وتظهر أكثر ما تظهر في:

- **الحكم والتشريع:** لقد أدرك المحتلون للعالم الإسلامي بعد ذهاب ريحه بسقوط الخلافة الإسلامية، بل وقبلها بزمن ليس باليسير خطورة الحكم الإسلامي، ودوره في تثبيت قواعد الإسلام وأركان الإيمان وتوحيد الأمة، فعملوا أول ما عملوا على إسقاط الخلافة العثمانية وتفتيت الوحدة الإسلامية وإلغاء القوانين الشرعية، واستبدلوها بالحكم الوضعي اللاديني.

وفي عقيدة الإسلام ترابط الإيمان بالحكم، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١٦]. وفي الحديث الشريف نبوءة بسقوط الحكم بشرع الله عز وجل، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة» [١٧].

(..ومن أهم القضايا التي يجدر الانتباه إليها أن الانحراف–غير المقصود– ابتدأ من منطلق التخلص من جمود الفقه الإسلامي أمام التغيرات الحيوية الجديدة، ومن توهم المسلمين بأن سبب تخلفهم هو عجزهم التنظيمي والإداري، وأن محاكاة أساليب الحياة الغربية جديرة بالقضاء على ذلك التخلف، وعلى هذا قامت الحركة المسماة "حركة الإصلاح" في جناحي العالم الإسلامي: تركية ومصر)[١٨].

لقد انتبه السلطان عبد المجيد العثماني إلى خطر الاحتلال الصليبي منذ وقت مبكر، فنبه إلى ضرورة إصلاح منظومة الحكم الإسلامي، التي تآكلت منذ قرون، فقال رحمه الله في مرسومه الشهير عام١٨٣٩م: (لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العلية منذ مبدأ ظهورها وهي جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة، والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها، ولذا كانت قوة ومكانة سلطنتنا السنية، ورفاهية وعمارية أهاليها وصلت حد الغاية، وقد انعكس الأمر منذ ١٥٠سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف، ولا للقوانين المنيفة بناء على طرو الكوارث المتعاقبة والأسباب المتنوعة،

فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر(..) واعتمادا على المعونة الإلهية(..) قد رؤي من الآن فصاعدا أهمية لزوم وضع وتأسيس قوانين جديدة تتحسن بها إدارة ممالك دولتنا العلية المحروسة، والمواد الأساسية لهذه القوانين هي عبارة عن الأمن على الأرواح، وحفظ العرض، والناموس، والمال، وتعيين الخراج، وهيئة طلب العساكر للخدمة ومدة استخدامهم....)[١٩]. وشاءت الأقدار أن لا تصمد تلك المراسيم التحديثية التجديدية أمام الثورات الإصلاحية التي قادها شباب متشبع بالأفكار الغربية، فلما تمكنوا من مقاليد الحكم، كان أول ما صنعوا أن ألغوا العمل بالشريعة، وتولى كبيرهم مصطفى كمال أتاتورك– وهو من يهود الدونمة–* إسقاط الخلافة، والتنكيل بعلماء الإسلام، وسحق العربية، ومنع الحجاب عن المرأة، والارتماء بتركيا كلها في أحضان الغرب الصليبي الحاقد.

وبسقوط الخلافة تمزق شمل العالم الإسلامي، وعمل مشرط سايكس–بيكو على تفتيت المفتت، وانتشرت العلمانية كالنار في الهشيم، ومن مظاهر العلمنة حرق الخمار والنقاب في ميدان التحرير بالإسماعيلية بمصر عام١٩١٩م. وقد تولت كبره صفية زغلول زوجة سعد زغلول، و نور الهدى محمد سلطان "هدى شعراوي" التي وفي إطار سعيها المتواصل إلى نشر العلمانية في مصر والعالم العربي، جعلت بيتها صالونا يتقابل فيه الرجال والنساء، وتقابل فيه الرجال وهي سافرة.واستمرت هذه السلسلة من الانحرافات التي توجتها في خطبتها، التي ألقتها بمناسبة الاحتفال بالعيد العشرين للاتحاد النسائي حين قالت: "ومنذ ذلك اليوم قطعنا على أنفسنا عهدا أن نحذو حذو أخواتنا الغربيات في النهوض بجنسنا مهما كلفنا ذلك"[٢٠]. أي حتى وإن كلفها الانسلاخ من أوامر الشريعة ونواهيها.

- **التربية والثقافة:**

ظل العالم الإسلامي منذ سقوط الخلافة العباسية ينحدر تدريجيا إلى أن بلغ السقوط مداه في جميع الميادين مع بداية الثورة الصناعية الغربية، حيث صدم المسلمون بمظاهر الحضارة الغربية التي أحدثت لديهم خللا في التصورات والموازين للقيم والأشياء،

وبدت ثقافة الإسلام وتراثه أمرا باليا، غير ذا أهمية، فحصلت الازدواجية بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وذهب مفهوم التكامل المعرفي الذي ساد الثقافة الإسلامية قرونا طويلة.

وقد وجد المتنورون من أبناء المسلمين –الذين درسوا العلوم الكونية والإنسانية ببلاد الغرب– الفرصة سانحة للانقضاض على الثقافة والتربية العربيتين الإسلاميتين، فعملوا على تشويههما، وصبغهما بالصبغة الغربية المحضة.

فالاستعمار الغربي كان أذكى من فرعون الذي استخدم سياسة قتل الأولاد، ولم يفتح لهم مدارس وجامعات تقتلهم من حيث لا يشعرون، ومن بينها المدارس التبشيرية التي أنشئت في لاهور

وبيروت واسطنبول والقاهرة وغيرها، عدا المدارس الأقل شأنا التي انتشرت في الهند وبلاد الشام ومصر، وبصفة أظهر في بلاد المغرب[٢١].

ومن بين مظاهر المسخ الثقافي الذي تولاه من يتدينون بديننا ويتكلمون بلساننا تدريس مواد تصادم الدين والقيم الأخلاقية والأعراف المدنية، ومنها:

- الداروينية: التي درسها –ولا يزال– الطلاب العرب والمسلمون على أنها حقيقة علمية في تخصص البيولوجيا وعلم الأحياء والإنسان.
- الفرودية: المتهافتة، والتي يدرسها طلاب علم النفس كحقيقة ومسلمة علمية لا جدال فيها.
- الدوركايمية في علم الاجتماع.
- وحتى في علوم الفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم الكونية درست للطلبة محشوة بالأفكار الفلسفية والوثنية والإلحادية.
- ونال مادة التاريخ الإسلامي النصيب الأوفر من التشويه والتحريف، التي دس فيها المبشرون والمستشرقون السموم، حتى سلمت الراية لعرب ومسلمين الذين كتبوا كتابات تاريخية تشوه الحقائق وتخدم الاستعمار الحديث، نظير امتيازات تلقوها، ومن أولئك جورجي زيدان الذي كتب عدة مؤلفات في هذا المسعى الخبيث، ومنها كتابه(الانقلاب العثماني) وهو عبارة عن رواية من رواياته التي فاقت العشرين، وكتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) في أربعة أجزاء.

وإذا رحنا نتتبع جنايات العلمانية في غير ما ذكرنا–سيما في عالم الاقتصاد والسياسة– لطال بنا المقام، ولعل ما ذكرناه يفتح المجال أكثر في هذا المضمار اللاحب.

٦– حصاد العلمانية وثمارها الخبيثة:

لقد كانت أكبر نكبة في حياة المسلمين المعاصرة هي إبعاد الإسلام(عقيدة وشريعة) عن قيادة البشرية، تلك "الخيرية" التي وصفت بها أمة الإسلام في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢٢].

ومن مقتضيات "الشهادة أن تكون الأمة هي الأعلى، وبذلك وصفها رب العزة بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٢٣].ولقد نتج عن ذلك نتائج وخيمة على المستوى الفردي والأسري والمجتمعي والشعبي والرسمي، وفي كل مجالات الحياة، ومن ذلك*:

- إحلال القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية.
- تصوير حركة المد الإسلامي في عهد السيرة النبوية وخلال التاريخ الإسلامي بأنها إرهاب وهمجية.
- تجفيف المنابع الإسلامية من خلال إبعاد تدريس المواد الشرعية بالمدارس والجامعات.
- محاصرة اللغة العربية والتضييق عليها في مجال التعليم والإعلام والكتابة والخطاب الرسمي وغيرها.
- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة، وتشجيع الاختلاط بين الجنسين في المدارس والجامعات..
- محاصرة الدعوة الإسلامية بتشويه الدعاة ومنع النشاط التربوي والإصلاحي.

- تفتيت الوحدة الإسلامية بزرع وتشجيع الطائفية والمذهبية والشعوبية.
- صبغ الحياة الإسلامية بالصبغة الغربية، وجعل الدين رمزا للتخلف والرجعية والإرهاب.

هذه بعض النتائج الوخيمة التي نتجت عن العلمانية في بلاد الإسلام، والتي تستوجب تغييرا شاملا في الأفكار والسلوكات.

٧- واجبنا نحو العلمانية:

من أوجب واجبات العلماء والأئمة والدعاة والمفكرين المسلمين التصدي لنازلة العلمانية التي أبعدت الأمة عن مصدر عزها، وسر قوتها، ورمز سيادتها: الإسلام كعقيدة في الضمير وشريعة في الحياة، ولابد لذلك من وسائل وسبل مدروسة وحكيمة، ومن بينها:

١- الجدال والحوار بالتي هي أحسن: فالعلمانيون ليسوا على درجة واحدة من الكفر بالإسلام أو الجهل به، فثمة كثير منهم يدعو للعلمانية لجهله بالإسلام، فهؤلاء ينبغي محاورتهم وتعريفهم بالإسلام، وأنه ليس ضد العلم والحرية والاجتهاد والتجديد والعصرنة.

٢- العمل على أسلمة المناهج العلمية الغربية: وجعلها موافقة للتصور الإسلامي.

٣- ضرورة التفريق بين الجهاد والإرهاب: الإرهاب الذي ألصق بالإسلام بهتانا وزورا.

٤- القيام بمراجعات تصحيحية للأخطاء التاريخية والمعاصرة: ومنها موضوع "الفتوحات الإسلامية" التي يصر المستشرقون على أنها كانت عنفا وإرهابا.

٥- تكريم المرأة وصون حقوقها: فالغرب الحاقد على الإسلام يجعل من المرأة المسلمة، التي انتهكت حقوقها بسبب الجهل حينا، ورد الفعل أحيانا كثيرة، يجعل منها مادة دسمة لغمز الإسلام وهمزه ونعته بالتخلف والرجعية.

٦- تجديد الفقه الإسلامي: بجعل مواده موافقة للعصر بدون مخالفة النصوص الصريحة والصحيحة التي لا تقبل التأويل والتغيير، مثل الشعائر التعبدية والحدود الشرعية وغيرهما.

٧- العمل على التقارب بين المذاهب العقدية والفكرية وفتح الحدود الجائرة بين البلدان الإسلامية.

٨- التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم: سواء كان ذلك داخل البلاد الإسلامية أو في بلاد الغربة.

الخاتمة:

لقد تهافتت العلمانية في بلاد الإسلام، وأيقن المسلمون والمؤمنون أنها كانت أكبر كذبة، وأفدح جناية على الفكر والسلوك معا، وأنه لا عز لنا إلا بالإسلام.

وبعد معالجة نازلة العلمانية في البلاد الإسلامية من خلال كتابه "الإسلام والعلمانية"، يلخص الدكتور يوسف القرضاوي في خاتمة كتابه العناصر المعالجة، والشبهات المثارة بقوله: (الآن حصحص الحق، وبان الصبح لذي عينين، وتبين لكل منصف أن العلمانية لا مكان لها في مصر(باعتباره أكبر دولة عربية)، ولا في ديار العروبة والإسلام، بأي منطق أو بأي معيار، لا بمعيار الدين، ولا بمعيار المصلحة، ولا بمعيار الديمقراطية، ولا بمعيار الأصالة، وأن الشبهات التي أثارها العلمانيون لا تقوم على ساق ولا قدم.

ومن النتائج المهمة أن هناك مفاهيم كانت ملتبسة على الناس، قد تميزت واتضحت، بعد أن حاول من حاول من دعاة العلمانية أن يخلطوا الأوراق، ويشبكوا الخطوط بعضها ببعض.

ومن هنا نستطيع أن نقول بوضوح وصراحة: "نعم" و"لا" في تلك المتشابهات، نثبت حقها، وننفي باطلها:

- نعم....للعلمية، ولا....للعلمانية.
- نعم للدولة الإسلامية....ولا....للدولة الدينية.
- نعم....للشريعة في ضوء الاجتهاد، ولا....للجمود باسم الشريعة.
- نعم....للتحديث في رحاب الأصالة، ولا....للتغريب في ركاب التبعية.
- نعم....للتفاعل الفكري، ولا....للغزو الفكري.
- نعم....للاعتزاز بالدين، ولا....للتعصب الأعمى.

- نعم....للحوار البناء، ولا....للتشكيك الهدام).

٩- المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**
- **كتب السنة الشريفة.**

١- الإسلام والعلمانية وجها لوجه، يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، (دط، دت).

٢- الديمقراطية بين العلمانية والإسلام، دار الفكر، سوريا، ط١، ١٩٩٩م.

٣- العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف، تقديم عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١١م.

٤- العلمانية وضلالة فصل الدين عن السياسة، محمد الخضر حسين، اعتنى به وخرج أحاديثه محمد عوض عبد الغني المصري، دار الاستقامة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١١.

٥- العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، (دط.دت.دب).

٦- المرأة وكيد الأعداء لعبد الله الشيخ، (دط. دت. دب).

٧- المغرب المسلم ضد اللادينية، إدريس الكتاني، طبع في المغرب، ط١، عام١٩٥٨م.

٨- تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد، بيروت، ١٩٧٧م، (دط).

٩- تهافت العلمانية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠- سقوط العلمانية، أنور الجندي، منتدى مكتبة الإسكندرية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة،(دط، دن).

١١- موقف الإسلام من العلمانية، صلاح الصاوي، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢- يهود الدونمة، محمد علي قطب، دار الأنصار، مصر، طبعة عام ١٩٧٨م.

١٣- مرجع باللغة الأجنبية: "Secularism" Edited،Retrieved 7-4-2017، Cambridge Dictionary، The Free Dictionary.

١٤-المواقع الالكترونية:

- http://khayma.com/almoudaress/takafah/ilmania.htm
- مجلة البيان، ع٢٩٣، سنة: ٢٣-١١-٢٠١١م:
- http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=1559
- http://saaid.net/feraq/mthahb/54.htm.

الهوامش:

١- العلق: ٠١

٢- فاطر ٢٨.

٣-المجادلة: ١١.

٤-رواه الترمذي وصححه الألباني.

٥-فصلت: ٥٣.

6-"Secularism" Edited،Retrieved 7-4-2017 ،Cambridge Dictionary ،The Free Dictionary

٧-العلمانية،

٨-نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، (دط.دت.دب)، ص٢٤.

٩-موقف الإسلام من العلمانية، صلاح الصاوي، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص٠٩، ١٠.

١٠- الإسلام والعلمانية وجها لوجه، يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، (دط، دت)،ص٤٧، ٤٨، ٤٩.

١١- ينظر: العلمانية وضلالة فصل الدين عن السياسة، محمد الخضر حسين، اعتنى به وخرج أحاديثه محمد عوض عبد الغني المصري، دار الاستقامة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١١، ص٥٣، ٥٤.

١٢- ينظر: المغرب المسلم ضد اللادينية، إدريس الكتاني، طبع في المغرب عام١٩٥٨م، ط١، ص٧١- ٧٣.

١٣- ينظر:سقوط العلمانية، أنور الجندي، منتدى مكتبة الإسكندرية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة،(دط، دن)، ص٩٥، ٩٦، ٩٨.

١٤- تهافت العلمانية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م، ص٥٣.

١٥- http://khayma.com/almoudaress/takafah/ilmania.htm ، تاريخ التحميل: ٥ماي ٢٠١٨، ١١.٠٠سا.

* يراجع فصل: (صور العلمانية)، ص ١٥ وما بعدها من كتاب: العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف، تقديم عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١١م.

١٦- مجلة البيان، ع٢٩٣، سنة: ٢٣-١١-٢٠١١م، ttp://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=1559 تاريخ التحميل: تاريخ التحميل: ٥ماي ٢٠١٨، ١١.١٥سا.

١٧- النساء٦٥.

١٨- أخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير وابن حبان في صحيحه بإسناد جيد.

١٩- العلمانية، سفر الحوالي، ص٥٦٣.

٢٠- تاريخ الدولة العلية العثمانية،محمد فريد، بيروت، ١٩٧٧م، (دط)، ص٢٥٤ .

*هم جماعة من اليهود أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد بالمسلمين، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد والترقي، ولا يزالون إلى الآن يكيدوا للإسلام، لهم براعة في مجالات الاقتصاد والثقافة والإعلام؛ لأنها هي وسائل السيطرة على المجتمعات. أسسها سباتاي زيفي (١٦٢٦م . ١٦٧٥م)، وهو يهودي إسباني الأصل، تركي المولد والنشأة، وكان ذلك سنة ١٦٤٨م حين أعلن أنه مسيح بني إسرائيل ومخلصهم الموعود واسمه الحقيقي موردخاي زيفي وعرف بين الأتراك باسم قرامنتشته. إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، للمزيد زيارة الموقع : http://saaid.net/feraq/mthahb/54.htm.ينظر: يهود الدونمة، محمد علي قطب، دار الأنصار،مصر،طبعة عام ١٩٧٨م.

٢١- للمزيد يطالع كتاب: المرأة وكيد الأعداء لعبد الله الشيخ، الديمقراطية بين العلمانية والإسلام، دار الفكر، سوريا، ط١، ١٩٩٩م، ص٢٢٣.

22- العلمانية، الحوالي، بتصرف يسير، ص٥٩٣-٥٩٤.

٢٣- آل عمران: ١١٠.

٢٤- البقرة: ١٤٣.

* العلمانية وثمارها الخبيثة، ص٢١ وما بعدها، بتصرف يسير.